

المقدمة

إنَّ أهم كتاب أنزل على البشر كافة هو كتاب الله تعالى، الذي أنزله المولى عزَّ وجلَّ ختاماً لرسائله السماوية على نبيه الأميِّ محمد عليه أفضل الصلّاة وأزكى التسليم، ليكون القرآن الكريم معجزة خالدة باقية على اختلاف فترات الزّمان المتعاقبة، وقد أودع فيه ربّ العالمين من الأسرار ما فيه من الرّواء، والشّفاء، والصّفاء، والحسن والرّوعة، وفيه من الأحكام، والتّشريع، والعقيدة والفقه، ما يجعله التّبع، والمعين، والمورد الفيّاض الذي يرتشف من رحيقه كل مسلم على اختلاف الأجيال فلا يقنع من شاهده المتذوق لحلاوته النّابعة من إحكامه وتأليفه، وأسلوبه، مصداقاً لقوله تعالى: "الر. كتاب أحكمت آياته، ثم فصلت من لدن حكيم خبير" (هود:1).

فهو كلام الله سبحانه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، المحكم في سرده، والدقيق في سبكه، والمتين في أسلوبه، وللقرآن الكريم كل الفضل في ظهور العلوم بمختلف تخصصاتها، إذ احتج به النّحاة، ونهل منه البلغاء ونظر فيه المفسّرون، وتأمّل فيه الفقهاء، وتوقف عنده المتكلّمون، وأفاد منه الأدباء، فكان منه المنطلق وإليه الرّجوع، ليكون أسمى وأشرف ما يقدمه الباحثون في بحوثهم وتآليفهم ما كان فيه خدمة كتاب الله الكريم، ولحيازة هذا الشّرف العظيم التفت حوله تلك الدراسات القرآنية وكثرة التّأليف التي تبحث في علوم القرآن في محاولة منها لكشف مكنوناته وأسراره ومواطن جماله، وإعجازه الرّاسخ والظاهر في كل الأزمنة والعصور، فكان الإعجاز القرآني من أهم القضايا التي اعتنى بها العلماء قديماً وحديثاً، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال يتحدى ببلاغة أسلوبه ونظمه البلغاء وأهل البيان والفصاحة فأعجزهم عن الإتيان بمثله، وورد هذا التحدي في الكثير من آيات الذكر الحكيم، وقد كان للإعجاز في القرآن الكريم وجوه متعددة قد اعتنى بتبيانها جلّ الباحثين ومنها الإعجاز العلمي، والتشريعي والنفسي والغبي، ومن الوجوه أيضاً ما كان من جهة البلاغة التي تضمنا أسلوب القرآن المعجز الذي كان مناط الإعجاز في كتاب ربّ العالمين سبحانه. وقد أعطى

علماء الإعجاز هذا الوجه جلّ عنايتهم فانبرت جهودهم في تقصّي خصائص نظمته وبلاغة أسلوبه الذي انفرد به على غيره من الأساليب ولعلّ من أبرز العلماء الذين شغلوا بالبحث في بلاغة أسلوب القرآن المعجز، الرماني والخطابي والقاضي عبد الجبار، وكذا الباقلاني، الذي اتخذناه أنموذجاً لهذه الدراسة التي اهتدينا إلى انتقاء موضوعها الموسوم ببلاغة الإعجاز في الأسلوب القرآني "الباقلاني" - أنموذجاً - للوقوف على بلاغة أسلوب القرآن المعجز، مع العلم أن البواعث والدوافع الحقيقية لاختيار هذا الموضوع هي:

- * سعيي لنيل شرف البحث في موضوع له صلة بكتاب الله تعالى.
- * محاولة التقرب أكثر من كتاب المولى عز و جلّ.
- * شغفي بالوقوف على مواطن وكوامن الجمال والبلاغة في الأسلوب القرآني المعجز.
- * رجائي في الدخول ضمن جملة من يخدم القرآن الكريم من العلماء وطلبة العلم.
- * إبراز الخصائص والسمات التي يختص بها القرآن المجيد.
- * الاطلاع على دراسات من سبق من العلماء في بحثهم ودراساتهم حول بلاغة الأسلوب القرآني وإعجازه.

ولنمضي في معالجة هذا الموضوع انطلقنا في بناء محتواه من إشكالية تضم جملة من الاستفهامات كان أهمها:

- 1- ماهو مفهوم الأسلوب القرآني، وكيف تناوله العلماء القدامى والمحدثون؟.
- 2- ما هي أهم الخصائص العامة للأسلوب القرآني المعجز؟.
- 3- أين تتجلى المكامن والسمات الفنية في تركيب الأسلوب القرآني؟.
- 4- ما هي أبرز الاتجاهات التي بحثت في أسلوب القرآن؟.
- 5- فيما تتجلى الملامح الفكرية والثقافية في حياة أبو بكر الباقلاني؟.

- 6- ما هي أهم قضايا البلاغة في زمن الباقلاني؟.
 - 7- على أي منهج اعتمد الباقلاني في دراسته النقدية؟.
 - 8- أين تبرز أهم القضايا النقدية في كتابات الباقلاني؟.
 - 9- وأين تكمن جهوده البلاغية ضمن كتاب إعجاز القرآن؟.
 - 10- ما هو مكنم الإعجاز عند الباقلاني وما هو رأيه فيه؟.
 - 11- كيف تناول الإمام الباقلاني أسلوب القرآن من خلال وجوه الإعجاز لديه؟
- وانطلاقاً من هذه التساؤلات يندرج موضوع هذا البحث الذي يلزمنا - بالنظر إلى طبيعته - إتباع منهج وصفي تاريخي، وتحليلي، ثم وللإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدنا في موضوعنا خطة بحث مقسمة إلى فصلين وضعنا في مستهلها مقدمة ذكرنا فيها أهم الدوافع التي قادتنا إلى تناول هذا الموضوع وكذا أهم ما طرح حوله من تساؤلات.
- وقبل الولوج إلى ثنايا البحث وضعنا مدخلاً تكلمنا فيه عن البلاغة ثم الإعجاز ومعناه ووجوهه في القرآن العظيم، مع ذكر ما لكلام الله تعالى من الفضل والتأثير على اللغة وإسهامه في ظهور كافة العلوم.
- وإذا أتينا إلى الفصل الأول الذي جاء بعنوان: الأسلوب القرآني خصائصه وتحليلاته الفنية، نجده قد حوى ثلاث مباحث قسمت كالآتي:
- المبحث الأول : أسلوب القرآن مفهومه وخصائصه.
 - المبحث الثاني : سمات التركيب الفني في الأسلوب القرآني.
 - المبحث الثالث: اتجاهات البحث في الأسلوب القرآني.
- أما الفصل الثاني فقد أتى بعنوان مركزية البحث البلاغي والنقدي عند الباقلاني. وقد تناولنا فيه هو الآخر ثلاث مباحث وكانت مرتبة كالآتي:

- المبحث الأول : الباقلاّني والثقافة النقدية والبلاغية في عصره.
- المبحث الثاني: منهج الباقلاّني في الدّراسة النّقدي والبلاغية.
- المبحث الثالث: الأسلوب القرآني في خطاب الباقلاّني النّقدي.

ثمّ إنّنا وأثناء معالجتنا لهذا الموضوع قد اعترضتنا بعض الصعوبات وهذا طبيعي في أي بحث، ولعل من أبرزها، ضيق الوقت الذي حال دون الارتواء الكافي من كتاب الله تعالى ضف إلى ذلك، ما وجدناه من صعوبة في الحصول على المراجع التي تحيط بالموضوع إحاطة شاملة، مع تداخل المعلومات ضمن المادة العلمية المتحصل عليها.

وعلى الرغم من هذا إلا أننا بتوفيق من المولى عز وجل قد أنهينا هذه الدراسة التي اعتمدنا فيها على جملة من المصادر والمراجع وكان أهمها : (إعجاز القرآن للباقلاني)، (ثلاث رسائل في الإعجاز القرآني للرماني والخطابي والجرجاني)، (النبا العظيم لعبد الله دراز)، (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى الرافعي)، (ومناهل العرفان للزرقاني)....

وفي الأخير نحمد الله تعالى على أن وفقنا في إتمام هذه الرسالة، مع الرجاء أن نكون قد فتحنا نافذة للمزيد من النظر في هذا الموضوع، الذي يخدم كتاب الله تعالى بالدرجة الأولى فيا له من شرف أن نتدارس كتاب الله تبارك تعالى خدمة له واحتسابا للأجر والثواب.